الرؤية الشبحية في سرد ما بعد الحداثة

إعداد

دعاء عبد الحميد عبد العزيز محمد

مدرس مساعد – جامعة حلوان

Doaa_abdelhamed@arts.helwan.edu.eg

إشراف

أ.د صلاح السيد محمود السروي

أستاذ الأدب الحديث والمقارن – جامعة حلوان

salahalserwy@gmail.com

أ.د رشا السيد صالح

أستاذ الأدب الحديث والمقارن – جامعة حلوان

rsaleh7@hotmail.com

أ.م.د إيمان السيد رسلان

أستاذ الأدب الإنجليزي – جامعة حلوان

Eman_raslan@arts.helwan.edu.eg

مستخلص:

تناقش هذه الدراسة (الرؤية الشبحية والطيفية) في (سرد ما بعد الحداثة) عند (طارق إمام في روايته "ضريح أبي"، ، وعند جالوريا نا يلورفي روايتها "ماما داي " .

منهج الدراسة :

تعُتمد **(القراءة الثقافية)** ظنًا أنها الأقدر أن تساعدنا في اكتشاف سمات سرد ما بعد الحداثة ، و(**المنهج السيميولوجي) Sémiologie** ، وهو علم الدوال اللغوية وغير اللغوية؛ أي يدرس العلامات والإشارات والرموزوالأيقونات، **والمنهج المقارن** طبقًا للمدرسة الأمريكية .

أهداف الدراسة :

يهدف هذا البحث إلى توضيح (**الرؤية الشبحية والطيفية**) التى تمثلت في إضفاء نوع من الأثيرية على الآحداث في (**سرد مابعد الحداثة**) ، فالعالم الواقعي أصبح معقدًا مما أدى إلى ظهور هذه التقنية لمواجهة العالم ومحاولة فهم أحداثه الغرائبية والعجائبية .

كما يتميز سرد ما بعد الحداثة بالنشاط السردي الذي يعمل على تفكيك البنية السردية ، فهو في الغالب لا يسير في شكل نمطي له بداية و عقدة ونهاية .

وغالبًا ما يستخدم المؤلفون (الرؤية الشبحية والطيفية) في أعمالهم الروائية، لتقديم نقد ضمنى للمجتمع .

الكلمات المفتاحية :

ما بعد الحداثة، التفكيكية، السيميولوجي

Abstract:

This study discusses Ghost and Spectral vision in the postmodern Narratirative novels of Tariq Imam's My Father's Tomb, and Galoria Naylor's Mama day .

The Methodology of the research paper:

Cultural reading helps in discovering the techniques of postmodern narration, and the semiohc functions of the novels under study according to The American school of comparative literature.

Objectives of the study:

This research aims to explain the ghost and spectral vision that is represented in the events of the postmodern novels .

The real world has become more complicated so, this technique helps to understand the imagined world of the novels .

Authors often use Ghost and Spectral Vision in The Postmodern narrative novels to offer an implicit critique of society, it does atypical narrative with aclear beginning, middle, and end .

Keywords:

Postmodern, Deconstruction, Semiologie**.**

مقدمة :

ما بعد الحداثة : النشأة والمصطلح :

أنتجت (**ما بعد الحداثة**) Postmodern وضعًا جديدًا في تاريخ الفكر البشري؛ حاولت فيه تفكيك المفاهيم التقليدية للحقيقة المطلقة في تفسيررؤية العالم ورؤية الأشياء.

وقد " بدأت إرهاصات ثقافة ما بعد الحداثة في العالم الغربي كانعكاس مجتمعي من نقطة الوعي بمشكلات الحداثة، وعدم مقدرتها على مسايرة الواقع بشروطه الجديدة، اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا"[1] فانطلقت(**مابعد الحداثة**) بدءًا من ثورة الطلاب الفرنسية عام 1968 ؛ اعتراضًا على بؤس النظام التعليمي، حتى زلزلت ثورات الطلاب في معظم دول أوربا عالم الحداثة المنضبط الواثق من قوة منظوماته وأنساقه ...

و"قامت **التفكيكية deconstruction** بتفكيك كل هذه القوالب المدعية التماسك والكلية حيث اعتبرت إن الحقيقة ليست مطلقة؛ "ففلسفة جاك دريدا

[1] بدرالدين مصطفى، حالة ما بعد الحداثة الفلسفة والفن ، ص14.

البلا مركز(أي معادية للمركزية - الباحثة) تنادي بعالم فقد مركزه ونقطة ارتكازه، أي إيمانه بالسلطة المطلقة لمركزية العقل "[1].

فتميزت **(ما بعد الحداثة)** بقوة التحررمن القيود المركزية ، ورفض القوى المطلقة للعقل ، ورفض شموليته المطلقة في تفسيرالأشياء، **فما بعد الحداثة** تسير نحو التفكيك، ومحاربة لغة البنية والانغلاق والانطواء ، بل تسير نحو الانفتاح عبرالحواروالتفاعل مع الأخرين في جميع أنحاء العالم .

كما ظهرت الثورة المعلوماتية والتكنولوجية في وقتنا الحالى، والتي تعد أساسًا ماديًا مهمًا **(لما بعد الحداثة)** فغيرت من طريقة تواصل البشر، وسهولة الوصول إلى المعلومات التى كان يسهل حجبها من قبل القوى المسيطرة في الماضي .

واهتمت **(ما بعد الحداثة)**، بالميتافيزيقية، أي السعي إلى تحررالوعي نحو أفق أكثر غرائبية وعجائبية ، وممارسة كتابة الاختلاف، والتفكيك والاهتمام بالهامش، والغريب، والمتخيل، والمختلف، وتحطيم المقولات المركزية التى هيمنت قديمًا، ورفض القوانين والأحكام الكلية المطلقة .

ومن خلال تفكيك النصوص السردية يمكننا اكتشاف دلالات جديدة متعددة متعلقة بالسياق السردي التى تتضح لنا من خلال القراءة المتأنية للسرد الروائي، ومن هذه التقنيات التى اتضحت من خلال تحليل " سرد ما بعد الحداثة " ؛ " الرؤية الشبحية أو الطيفية " .

فيعد الطيف أو الشبح ظاهرة ناتجة عن رؤية ضبابية للواقع ، تتمثل في إضفاء نوع من (الأثيرية) على أحداثه، بما يجعلنا نتساءل: هل حدث ذلك حقًا، أم لم يحدث . كما يقول "جاك دريدا" في كتابه أطياف ماركس :

[1] أحمد عبد الحليم عطية ، جاك دريدا والتفكيك ، ص126

" فمـــا أن تتوقـــف عـــن تمييـــزالنفس مـــن الطيـــف ، حتـــى يتخـــذ الطيـــف جســـمًا، ويتجسد بوصفه نفسًا في الطيف" [1].

ويعرف جاك دريدا **الطيف** بأنه :

"دمـــج متنـــاقض ، وإنـــه ليبقـــى بـــالأحرى " شـــيئًا" تصـــعب تســـميته : إنـــه لـــيس روحًـــا ولا جســـدًا، ومـــع ذلـــك فهـــو الواحـــد والآخـــر. ذلـــك لأن اللحـــم والظواهريـــة، هـــى التـــى تعطـــي إلـــى الـــنفس ظهورهـــا الطيفـــي، ولكنهـــا تختفـــي مباشـــرة فـــي الظهور، في مجئ العائد نفسه، أو في عودة الطيف "[2].

يعنـــي ذلـــك أنـــه دمـــج مـــا بـــين " الواقـــع " ، و"الخيـــال " أي الممكـــن واللاممكـــن، وعـــن طريـــق الحلـــم والخيـــال يكتســـب " الطيـــف" البنيـــة الجســـدية التـــى تمكنـــه مـــن الحضـــورفي بنيـــة ملموســـة ومحسوســـة ، وبـــذلك يتشـــارك الطيـــف عمليـــة التفاعـــل مع "الشخوص " أثناء الأحلام .

تعريف الطيف أوالشبح :

الطيـــف كمـــا يـــدل عليـــه اســـمه، فيمـــا يقـــول دريـــدا " هوالتكرارلنـــوع مـــن أنـــواع الرؤيـــة، ولكنـــه رؤيـــة غيرالمرئـــي، ثـــم إن الرؤيـــة لا تُـــرى مـــن حيـــث الجـــوهر، ولهـــذا فإنهـــا تبقـــى بعيـــدًا عـــن الظـــاهرة أو عـــن الموجـــود عينًـــا. وإن الطيـــف أيضًـــا، مـــن بـــين جملـــة أشـــياء أخـــرى، هـــو مـــا نتخيـــل، ومـــا نعتقـــد أننـــا نـــراه ونســـقطه: علـــى شاشة متخيلة..." [3]

فـــالطيف أوالشـــبح ينشـــأ عـــن طريـــق الـــرؤي المتخيلـــة للحـــالم ، وتســـتطيع الشـــخوص أن تـــراه وتحدثـــه فـــي أحلامهـــا لا فـــي واقعهـــا ، وبالتـــالي فـــالطيف هـــو

[1] جاك دريدا، أطياف ماركس، ت/ منذر عياشي، ص28.
[2] المرجع السابق، ص28.
[3] المرجع السابق، ص193.

رؤيــة غيــر المرئــي فــي الحقيقــة ، مــثلًا كرؤيــة " الأب" المتــوفي والتحــدث معــه في الحلم .

كمــا أن الطيــف أوالشــبح ينشــأ نتيجــة كثــرة التفكيــر فــي بعــض الأشــياء أو الأحــداث الحقيقيــة ، فيصــور ويجســد الــذهن هــذه الأفكــارفي هيئــة شــبح أو طيــف يظهر في رؤية الحالم ويشاركه أفكاره .

وقــد عــرف " دكتــور صــلاح الســروي " الشــبحية بأنهــا ليســت " الواقعيــة الســحرية . بــل هــي " واقعيــة " ، مــن ناحيــة اشــتباكها، علــى نحــو مباشــرمع الواقــع، المُعطــى الاجتمــاعي، التــاريخي. باعتبــارأن دور هــذا المعطــى هــو تشــكيل عوامــل التــأثيرفي طبيعــة النــوع الإنســاني، وتخليــق ســماته، وتلــوين قســماته، فــلا يوجــد إنســان خــارج المُعطــى الاجتمــاعي التــاريخي، بــل إنــه يعــد نتيجــة مباشــرة لفاعليــة هــذا المعطــى، فــي إطارعلاقتــه الجدليــة بالفاعليــة الإنســانية للشخصــية . ولكننــا أمــام واقعيــة أخــرى ، فــنحن لا نعــرف إذا كــان الفعل حقيقيًا أم غير حقيقي ؟؟ فهو يقبع في منطقة" العجائبي"و" الغرائبي"[1]

فالإنســان مــرتبط بوجــوده وبيئتــه وأفكــاره متعلقــة بتغيــرات المجتمــع الثقافيــة والاجتماعيــة ، وقضــاياه المعاصــرة وتطلعاتــه المســتقبلية وهــذه هــي واقعيتــه المشــتبكة مــع الواقــع ، لكــن الإنســان لا يكفيــه أن يُوجــد وحســب ، بــل عليــه أن يكافح من أجل أن يبقى ويحقق غاياته ، وعليه أن يجد مغزى لحياته .

حيــث لاتــزال العلاقــة بــين الثقافــة والشخصــية تشــغل مكانًــا لــه أهميتــه الشــكلية مــن حيــث التركيزعلــى أحــداث الحيــاة مــن شــبكة العلاقــات والتفــاعلات بــين الأشخاص ومراحل النمو وشبكات الدعم والمؤازرة، والأدوارالاجتماعية .[2]

[1] صلاح السروي،مقال رواية سورة الأفعي لمصطفى الشيمي، موقع الكتابة ، 17 نوفمبر2020.

[2] بيرجر،بيترل، وأخرون، ت/ فاروق أحمد مصطفى وأخرون، مراجعة/ أحمد أبو زيد ، التحليل الثقافي، ص16.

وتحليل البنية الثقافية للشخوص يتحدد في ضوء السياق العام الذي تعمل فيه، وذلك كما يقول أحمد أبو زيد في مقدمة كتاب : " التحليل الثقافي": "تعتبر الثقافة نسق من الأفعال والممارسات والعلاقات وهى نسق من العلامات حيث تعتبر ثقافة أي شعب مجموعة من النصوص التى يمكن قراءتها وتفسيرها ..."[1]

فقد وُجد الإنسان في هذا العالم دون معرفة أي شيء عن نفسه أكثر مما هو عليه وأكثر مما هو معطى له دون تفكير، فوجوده اليومي بمشكلاته وهموهه واحباطاته في معترك الحياة جعلته لا يكتفي بمعاينة الظاهرة الحسية، كظاهرة الموت والوجود ، بل يخلق عالمًا آخرًا من افتراضاته؛ لمواجهة عالمه الواقعي، وبهذه الطريقة يواجه الإنسان قدره المتمثل في وجوده ووعيه ، ويعيش في طيفه لا كما هو موجود بل كما يقتضي أن يعيش .

وقد اتضحت هذه " **الرؤية الشبحية والطيفية** " في رواية " ماما داي " "لجالوريا نايلور"، لأن الجدة تخلق قوة سحرية تجعلها تنقذ حفيدتها من الموت، (بمساعدة زوجها جورج الذي ضحى بحياته من أجل زوجته) . فقد خلقت " الجدة " عالمًا آخر تستطيع من خلاله أن تحقق سعادتها بإنقاذ حفيدتها من الموت ، كما أن " جورج " روى قصة موته ومصارعته للموت ، وأنه أخيرًا استشعر السلام الحقيقي بموته، وكأنه ظهر على هيئة " طيف أو شبح " محدثًا حبيبته " أوفليا" ، فيروي قائلًا:

“ The worst thing about the blinding pain that finally hit me was the sudden fear that it might mean the end. that's why I gripped your shoulder so tightly. But I want to tell you something about my real death that day. I didn't feel anything after my heart burst. As my bleeding hand slid gently down your arm, there was total peace”.[2]

[1] المرجع السابق ، ص11.

[2] Gloria Naylor's Mama Day,page 289.

أسوأ شيء في الألم الشديد الذي أصابني أخيرًا، هوالخوف المفاجئ من أن ذلك قد يعني النهاية . لهذا السبب أمسكت بكتفك بشدة،لأنني أريد أن أخبرك شيئًا عن موتي الحقيقي في ذلك اليوم. لم أشعربأي شيء بعد انفجارقلبي، عندما انزلقت يدي التى كانت تنزف على ذراعك بلطف، كان هناك سلام تام .

إن بقاء (الحفيدة) - أي أوفيليا زوجة جورج – يعد أمرًا بالغًا الأهمية لإعادة تأريخ تاريخ المرأة السوداء، لأنها الوسيلة الوحيدة لاستمرارية جذورالعائلة باعتبارها آخرأفرادها ، وبانقاذ حياة " أوفيليا" تستمرالذاكرة الثقافية للعائلة باقية على مرالزمان والمكان .

تقول : (" نسرين يافس" في مقال لها بعنوان يوم ماما لجلوريا نيلور: الواقعية السحرية كموقع لتمكين المرأة السوداء ، في مجلة العلوم الاجتماعية والسلوكية، 2014).

(Gloria Naylor's Mama Day: Magical realism as the site of black female agency and empowerment). by Nesrin Yavas.

“ He will eventually emerge leaving behind his western, male, rational, individualistic cultural luggage, and thereby entering into the female, communal, mythical order of willow springs. Mama Day's chicken coop, which has symbolized female fertility and power throughout the narrative, becomes the site where George's intense male individualism and rationalism are put to test. What Miranda expects him to do is to leave back in the coop the ledger and the cane, both of which are symbols of patriarchal order, and come out of it with empty hands. Nevertheless, Mama Day's walking stick, “ a thing of wonder” in Mama Day's hands, becomes aphallic instrument in the hands of George dies of a heart attack. His death symbolizes the devalidation of his Western worldview in the face of an African-derived matriarchal community where magic and myth become the outlets for female agency, empowerment".[1]

[1] (Gloria Naylor's Mama Day: Magical realism as the site of black female agency and empowerment). by Nesrin Yavas. page 252.

يتـــرك (جـــورج) أفكـــاره ومعتقداتـــه الثقافيـــة الغربيـــة والذكوريـــة والعقلانيـــة والفرديـــة، ليـــدخل فـــي المجتمـــع الأنثـــوي الأســـطوري – فـــي جزيـــرة ويـــل ســـبرنج – وأمـــا عـــن حظيـــرة دجـــاج " مامـــا داي "، والتـــى يرمـــز إليهـــا بقـــوة خصـــوبة المـــرأة فـــي الروايـــة فكانـــت تشـــبه موقـــع الاختيـــار للفرديـــة الذكوريـــة والعقلانيـــة اللتـــان يمثلهمـــا (جـــورج) لكنـــه يمـــوت بســـكتة أوصـــدمة قلبيـــة ، ويرمزمـــوت جـــورج إلـــى عـــدم جـــدوى أو عـــدم فاعليـــة معتقداتـــه الغربيـــة فـــي مواجهـــة المجتمـــع الأنثـــوى المنبثـــق مـــن إفريقيـــا حيـــث يجمـــع بـــين الســـحر والأسطورة ، ويصبح مخرجًا لتمكين المرأة وإظهارقوتها .

فمـــوت (جـــورج) يرمـــز إلـــى إبطـــال نظريتـــه العقلانيـــة الغربيـــة لرؤيـــة العـــالم؛ لأنـــه يـــؤمن بالعقلانيـــة الفكريـــة، وأن عـــلاج زوجتـــه يجـــب أن يكـــون فـــي المستشـــفي ؛ بيـــد أن صـــعوبة عبورالجسربســـبب العاصـــفة الجويـــة أدى إلـــى استسلامه للقوة الغرائبية " ليوم ماما " من أجل إنقاذ زوجته (أوفيليا) .

ومـــن خـــلال الاقتبـــاس الســـابق يتضـــح لنـــا تفســـير(مـــوت جـــورج) أثنـــاء العـــلاج الروحـــاني لزوجتـــه ، باعتبـــارأن جـــورج يتخـــذ موقفًـــا معاديًـــا (للأفكارالعجائبيـــة ليـــوم مامـــا) ، لـــذلك فـــإن مـــوت (جـــورج) إنمـــا هـــو مـــوت لمعتقـــده حيـــث وقـــف هـــذا المعتقـــد حـــائلًا بينـــه، وبـــين الإيمـــان بـــالقوة الروحيـــة للجـــدة، وبالتـــالي لـــم يســـتطع العبـــورإلى العـــالم الأنثـــوي الأمـــومى" مامـــا داي ، فبمـــوت " جـــورج" الـــذي تكبرعلـــى القـــوة الروحيـــة ، اســـتطاعت " الحفيـــدة أوفليـــا" أن تتعـــافى وتصـــبح بصـــحة جيـــدة . كمـــا وضـــحت "الجـــدة ميرنـــدا التـــي أطلقـــوا عليهـــا اســـم – (مامـــا داي)- أهميـــة الإيمـــان بقـــدرة المـــرأة علـــى تحقيـــق المعجزات .

- **الطيف أوالشبح والحلم :**

ارتبط **"الحلم "** بالفوضى والظلام والغموض والليل والخوف ، وهومرآة الروح، ولعل هذا الارتباط هو السبب في علاقته بالطيف لأن إضفاء (الأثيرية) على الأحداث ينتج من خلال " الأحلام " . لأن " الحلم يعطي " للشخوص " فرصة كبيرة في التحرر من الواقع بكل صعوباته وتحدياته وييسرلهم سبل تحقيق ما يصبون إليه .

وقد وظف معظم كتاب ما بعد الحداثة " الحلم " في أعمالهم الأدبية ؛ لأنه من أفضل التقنيات التى يبدع الكاتب من خلالها نصه ؛ نظرًا لما تتمتع به من إمكانيات دلالية وإحالية وتأويلية، في الوقت نفسه؛ لارتباط الحلم بالحالة الشعورية التي تنتاب الحالم قبل الحلم وفي أثنائه وبعده ، فالأحلام حافلة بالدلالات لانفلاتها من عنصري الزمان والمكان.

يقول فرويد في كتابه تفسير الأحلام : الحلم هو" الطريق الأمثل إلى أعماق النفس . – والكلام لا يزال لفرويد - أي أن الحلم ليس أمرًا مستقلًا عن سائرأحوال النفس في يقظتها ، بل هو يتصل بها أوثق الاتصال ويكوّن حلقة من حلقات الحياة النفسية، ويعبرعن أمورلا يسعنا حتى مجرد الإحساس بها أثناء اليقظة، ويحيط بما عفى عليه الزمان من الأحداث والخبرات الأولى فيبعثها أمام ناظرنا، فتتضح لنا الصلة بين ماضي الفرد وحاضره. "[1]

فتخلق الشخوص واقعها الموازي ومنطقها الخاص وحياتها السرية ، وتكشف عن أعماقها الغامضة وسراديبها الخفية للنفس ، و ما يدور في اللاوعي، كما لا تخضع الأحلام لمنطق أو معايير، وقد استخدمت "الأحلام" في كثيرمن الأعمال الإبداعية بوصفها تقنية للتعبير عن مكنونات وتطلعات الشخوص وتحقيق الحياة التى تأملها .

[1] سيجوند فرويد، تفسيرالأحلام، ت/ مصطفى صَفوان، ص8 .

ويقول الكبيرالداديسي في مقال له بعنوان " ضريح أبي" لطارق إمام، غرائبية الرواية من غرائبية الواقع ، موقع الكتابة 18 إبريل 2018) : " إن عتبات الرواية حبلي بالإحالات الغرائبية فقد يعتقد القارئ أنها مجرد مؤشرات بمتن الرواية ...لكن ما أن يقتحم القارئ الصفحات الأولى حتى يتفاجأ أن الرواية عالم من الغرائبية الغريبة كل مافيها يحيل على عالم متخيل لا تسيجه حدود ولا يقبله عقل ومنطق".[1]

وإن كنت أتفق مع الكاتب في أن الرواية تحيا في عالم غرائبي ، فإنني أعطي لنفسي حق الاختلاف على إقحام العقل والمنطق في تحليل هذا السرد، لأن الرواية تنطلق في كثيرمن أحداثها من خلال (**الحلم**)، الذي تتقابل فيه (**الأشباح أو الأطياف**)، وتنشئ الرواية الحدث في إطارهما، فالحلم ليس له حدود عقلانية ومنطقية ولا يقيده مكان ولا زمان، فضلًا أن عالم الرواية لا يدعي محاكاة الواقع بما يقتضيه من عقلانية ومنطقية، بل يدورفي عالم العلامات الدالة .

وقد تجسدت هذه العلاقة الجدلية بين (الطيف والحلم) في رواية ضريح أبي لطارق إمام :

يروي " الابن " قائلًا : " أرسل أبي في طلبي، فعرفت أنني سأموت اليوم. لم يشأ أن يزورني في منام، مثلما يفعل مع الغرباء، لكنه أوفد لي أحد حراسه . طرق الرجل الأسود بابي مع أول خيوط الفجر، و سلمني القصاصة المقتضبة التي كتبها ولي الله الصالح بخطه الميت .. لأقطع، للمرة الأخيرة، الطريق الطويل إليه (الطريق الضيق نفسه الذي طالما تنفست فيه هواء موت الآخرين، والذي سأتحرك باتجاهه الآن، لأستنشق، للمرة الأولى، هواء موتي بالذات) .[2]

---

[1] الكبيرالداديسي في مقال له بعنوان (" ضريح أبي" لطارق إمام، غرائبية الرواية من غرائبية الواقع ، موقع الكتابة 18 إبريل 2018) .

[2] طارق إمام، رواية ضريح أبي ، ص19.

حيث يظهر الطيف أو الشبح الذي تمثل في خادم (الأب الميت) الذي أرسله "الأب" لطلب مقابلة " ابنه" داخل الضريح، وكأنه بيت كبير مكتمل الأركان؛ من غرف وأثاث ومتطلبات المعيشة من مأكل ومشرب . فهل انتقل " الابن " بطيفه وروحه أم بجسده؟ وقام بهذا الحدث .

فنجد أن " الابن" في رواية ضريح أبي يخوض صراعًا مع الواقع لأنه لم ير أمه ولم ير أباه ، ودائمًا في شجاره مع الأطفال ينعتونه (بابن الزانية) ولكنه كان يعتقد أن أباه يدافع عنه ، وهو (ولي) حي داخل ضريحه، فدائما ما ينتقم له كما يقول " غذى أبي وجوده بقدرات متتالية على تذكيري بنفوذه " ص 25 ودائمًا ما يقول لنفسه أنه ليس ابن زانية بل كما يقول " الشيخ حجاج " لوكان مات فعلًا – الأب – ما تمكن من إنجابك بعد مئات السنوات من رقاده " [1]هكذا اطمأن " الابن " أن له " أبًا" صالحًا ووليًا له سطوته على المدينة بأكملها. فالواقع الاجتماعي الذي نشأ فيه الطفل جعله يخلق عالمًا أخرأكثر شبحية، يحيا فيه بطريقته الملائمة .

وهي رؤية تنتمي إلى فكر مابعد الحداثة الذي يكون " في حل من السرديات الكبرى وهو ينظرإلى الإنسانية وهى تكابد مصيرها . "[2]

فالسرديات الكبري تقوم على توجيه مسار وعي الأفراد من تحديد ثقافته المجتمعية والتاريخية ، وهي صورة نمطية يتم ترسيخها حول بعض الشعوب والثقافات والحضارات ، وتقاوم التغييروالنقد ، فهي بالتالي تمثل الادعاءات الكبرى[3] التي تفرض على الإنسانية لمحاولة الهيمنة على القوى البشرية وإلجامها ؛ من أجل القوى المتسلطة المتجسدة في القوة السياسية

[1] المصدرالسابق، ص25.

[2] فرانسوا ليوتار في معني مابعد الحداثة ، ت : السعيد لبيب، ص31.

[3] المرجع السابق ، ص31.

المركزية ، وهذا ما ترفضه رؤية ما بعد الحداثة التى تفكك وتكشف عن الأسرار والخبايا الإنسانية .

وبالتالي ارتبطت (**الرؤية "الطيفية" بالأحلام**)، لأنها حافلة بالدلالات وتحقيق العدالة الأنسانية، من خلال (القناع) الذي تجسد على هيئة أحلام للهروب والتخلص من المعاناة الإنسانية ، فنجد " الابن " يستحضرشبح "الأب "، باعتباره (حضورًا للغياب) وبديلًا للعدالة القائمة ، فينتقم " الأب " من كل من ينعتونه " بابن الزانية " ، ويفرض "الأب" قوانينه على أهل القرية، وهذا يدل على معاناة "الابن" داخل قريته مما جعله يخلق قناعًا للعدل ، يتجسد في صورة " الأب الولى " الذي يحيا داخل ضريحه لتحقيق العدالة الإنسانية .

وبما أن البطل أي" الابن " شخصية مفعمة بالصراعات والأحلام، والأسرار، و الرغبات ، فنجده يؤكد دائمًاعلى استمرارية سطوة ووجود "الأب" في كل الحيوات التى يحياها المجتمع؛ لأن هذا " الأب أو الولى " لايموت بل يحيا في كل العصوروالأمكنة.

فيروي الأبن قائلًا:" " يقولون، (الجميع تقريبًا يقولون) إن أبي لم يمت، لكنه يمر(بمنامات طويلة)، يعيش خلالها في مدن أخرى، فليست أحلامه إلا حيوات حقيقية في بقاع أخرى من الأرض، (مثلما يمكن أن تكون مدينتنا بكل مافيها حلمًا لشخص ما، اعتقدت كثيرًا أنه أنا). حدث ذلك لمئات السنين، وظل ولي الله الصالح يعيش قرونه المتعاقبة بين حياة وموت". [1]

وبذلك يتضح أن الصوت الخفي "للأب" يلاحقه دائمًا ، ويعد هذا الصوت " النداء الخفي " نقطة إثارة للأحداث في الرواية، فضلًا عن أنه يكشف عن حقائق مضمرة يعانيها البطل. ونلحظ أن هذا الصوت أعلى من

[1] طارق إمام ، رواية ضريح أبي ، ص27.

صوت البطل، ربما هو صوت ضميره الذي يأمل في تحقيق العدالة الإنسانية على مرالأزمان وفي جميع الأمكنة .

ونلحظ في المقاطع السابقة ارتباط الطيف بأحلام الشخصية ربما لقرب (الطيف) الشديد منها، كما نجد " الابن " يتخذ أباه قدوة ووليًا ، وعملت ذاكرته على تقوية حضوره وتجسيده في هيئة " طيف " يأتي في المنام لأهميته في حياته.

وهو ما نجده، إلى حد ما، في رواية " ماما داي" لجالوريا نايلورNaylor for Gloria (Mama day) حيث نلاحظ أهمية ظهور "طيف جورج " في حياة زوجته ربما لأنه مات من أجلها ، أو ربما لشعور الزوجة أنه تألم في موته من أجلها؛ فينتابها الألم والحسرة ؛ ويؤلمها ذهنها ويعذبها ضميرها ويتهيأ زوجها في هيئة "طيف "أو " شبح " يزورها في منامها .

فتروي قائلة :

"I was having that terrible dream again with you nearly .drowning in the sound and me trying to keep from calling out so you could make it back safely to shore. Only this time I didn't succeed . Through my clenched lips I could hear the screams echoing out over the water. Thy seemed to go on forever, churning up the waves you were struggling in until I couldn't see anything at all with the water hitting me in the face and blurring my vision . but where was the screaming coming from ? My mouth was closed so afraid I was sick to my stomach- but my mouth was closed. I couldn't see, but I knew you had gone under. And suddenly there was such a feeling of peace because that's when I told my self , this has to be a dream. He would never leave me. I was waking up with that same peacefulness because my legs were tangled into someone else's, and as I turned over to snuggle closer with my head buried into that shoulder".[1]

(كنت أحلم بهذا الحلم الرهيب مرة أخرى، وأنت تغرق في الرمال وأنا أحاول تجنب الصراخ حتى تتمكن من العودة إلى الشاطئ بأمان ، هذه المرة فقط لم أنجح. كنت أسمع صراخًا يتردد فوق الماء. وقد استمر وقتًا طويلًا

[1] Gloria Naylor, Mama day, page 242

جـدا، أثنـاء مصـارعتك مـع الأمـواج ، لـم أتمكـن مـن رؤيـة أي شـيئ علـى الاطـلاق لأن المـاء ضـربنى بقـوة فـي وجهـي وجعـل رؤيتـي مشوشـة ، ولكـن مـن أيـن أتـي الصـراخ ؟! وفمـي كـان غيرقـادرعلى التعبيـر . لكننـي علمـت أنـك قـد تعرضـت للغـرق. وفجـأة سـاد الشـعور بالأمـان عنـدما قلـت لنفسـي يجـب أن يكـون هـذا حلمًـا لأنـه مسـتحيل أن يتركنـي ، واسـتيقظت باحسـاس السـلام الـداخلي لأنهـا ايقنـت أنهـا نائمـة بجـوار زوجهـا ومتعانقـان ، ورأسـها متكئـة على كتفه).

حيـث نلحـظ مـدى معانـاة الزوجـة فـي الحلـم لرؤيـة زوجهـا وهـو (يغـرق فـي الرمـال)، دلالـة علـى صـعوبة الغـرق وبطئـه الشـديد فجملـة (مصـارعتك مـع الأمـواج) تـوحي بمـدى المعانـاة التـى واجهـا الـزوج ، ومـدى تأثيروصـعوبة الحلـم علـى الزوجـة ، فتبـاطؤ الأحـداث باسـتخدام "إشـارات أو كلمـات " تجعـل الحـدث بطيئًـا ومؤلمًـا مثـل قولهـا " يصـارع"، و" الرمـال " التـي يصـعب الحركـة فوقهـا ويبطئهـا، وكلمـة " يصـارع " تـوحي بأنهـا معركـة خسـر فيهـا الـزوج ، ولصـعوبة الحلـم وصـعوبة المشـهد كـان تـأثيره كبيـرًا علـى الزوجـة التـى تقـول (اسـتمر وقـت طويـل جـدا) ، وقـد يكـون هـذا الحلـم حـدث فـي دقـائق معـدودات ، ولكـن صـعوبة تصـوره مـن (صـراخ ، ومصـارعة الأمـواج ، وغـرق فـي الرمـال)؛ كلهـا كلمـات تـوحي باسـتمرارالحلم لوقـت طويـل، فـالحلم فـي هـذا المقطـع أصـبح كابوسًـا مؤلمًـا لأن الـزوج كلمـا هـمّ بالنجاه من الغرق في الرمال لا يستطيع الحركة .

ثـم تنتقـل الزوجـة فـي الحلـم بخفـة مـن شـعورالحزن الشـديد والألـم النفسـي إلـى(السـلام الـداخلي) ؛ لأن الأحـلام يفقـد الإنسـان فيهـا الشـعور بـالزمن ، وقـد يتـداخل الماضـي مـع الحاضـر مـع المسـتقبل. وجـاء إليهـا " السـلام الـداخلي " مـن جملـة ربمـا هـذا " حلـم " وحـدث غيـر حقيقـي، وكأنهـا اسـتيقظت داخـل

الحلـم ووجـدت نفسـها بجـوار زوجهـا، ويظهـر طيـف زوجهـا جـورج فـي حلمهـا محدثًا إياها فتروي قائلة :

George, how did I get in here?
No.
The room looked strange behind the closed shutters, a grayish light filtering over everything. My clothes were folded in the chair the way I normally put them. But I couldn't have gone to sleep in here, could I?
Nothing was clear and there was a dull throbbing in my head: it felt as if I had a hangover. It seemed to take you forever to yawn and stretch. You put your arms around me and I didn'.
Ophelia,it was so touching".[1]

- جورج، كيف جئت إلى هنا ؟
- هل تعنين أنك لا تتذكرين ؟

- لا ، الغرفـة كانـت مغلقـة و النوافـذ مغلقـة ، وكـان هنـاك ضـوء خفيـف موجـود علـى كـل شـيء، وكـل ملابسـي كانـت متطبقـة علـى الكرسـي بالشـكل نفسـه الـذي أطبـق بـه ملابسـي يوميًـا. لكـن مـن المسـتحيل أن أكـون قـد نمـت هنـا. هـل معقـول أكـون قـد نمـت هنـا ؟ لـم يكـن هنـاك أي شـيء واضـح، وكـان هنـاك صـوت يضـرب فـي رأسـي بقـوة؛ لكـي أتثـاءب أو أمـدد ذراعـيَّ كنـت أسـتغرق وقتًـا طويلًا جدًا، ثم وضعت يدك حولي ولم أدرهل أبعدهما أم أتركهما مكانهما .

- تقول أوفيليا: لقد كان - زوجها- مفعمًا بالمشاعر).

مـن خـلال هـذا المقطـع يتبـين لنـا مـزج الحقيقـة والخيـال ؛ لأن الزوجـة ربمـا كانـت نائمـة فـي الواقـع بجـوار جـدتها التـى استحضـرها ذهنهـا داخـل الحلـم بجملـة."Grandma didn't have hair on her chest"[2] (جـدتي لـم يكـن لـديها شعرصـدر)، ولكنهـا مـاتزال داخـل الحلـم وتعتقـد أنهـا بجـوار زوجهـا الـذي علـى صدره شعر.

[1] Gloria Naylor, Mama day, by, page 243
[2] المصدر السابق،ص243.

ننتقل إلى دلالة " المكان" فالمكان في الحلم متحول أيضًا مماجعلها تندهش من أنها نامت فيه ، لكنها ذكرت أن (ملابسها مطبقة بنفس طريقتها المعتادة)، مما يدل على أن الحلم ليس سلبيًا بالنسبة للوجود ، ولكنه وجود آخرله طبيعته وخصائصه، من انعدام الوقت وخفة الحركة والتنقل بين الأمكنة والأزمنة بحرية في اللحظة نفسها .

ثم تتابع أوفليا السرد قائلة :

" I was very very sleepy. That gray light seemed to be pressing down on my eyelids. I buried my head into your shoulder again and moved my fingers through the hair on your chest. You brushed the braids gently away from my face , but our motion were all underwater and the sleep was quickly overtaking me. When I wake up , I remember saying , remind me to tell you about the fool that you married". [1]

(أنا كنت غارقة في النوم ، حتى سيطر النورالرمادي على عيني، ووضعت رأسي على كتفك وحركت أصابعي على شعرك وصدرك ، وأنت حركت خصل شعري، لكن مشاعري كانت بلا إحساس لأنني كنت غارقة في النوم، وعندما استيقظت تذكرت قولك : (ذكريني أخبرك عن الأحمق الذي تزوجتيه).

نلاحظ هنا أن " الزوجة"، " التى ماتزال نائمة ، وتتحدث مع "طيف زوجها" ، الذي مات من أجلها في الواقع، في جلسة علاجها الروحاني إثر أزمة قلبية؛ جاءها في الحلم كاشفًا عن معاناته التى واجهها من أجلها؛ ربما لأنها تزوجت بعد موته . وعند استيقاظها تذكرت جملته التى قالها لها في الحلم (ذكريني أخبرك عن الأحمق الذي تزوجتيه) .

[1] المصدر السابق، ص243.

خاتمة:

ونخلص من ذلك أن من أهم سمات سرد ما بعد الحداثة **(بروز تقنية استخدام الطيف أو الشبح والحلم)** مثلما ورد في هذه النماذج الروائية (العربية والإنجليزية)، والتي تكشف عن هذه الرؤية الفكرية، فنجد ارتباط الطيف بالموتى من الأقارب والأحباب كالأب والأم أو الزوج كما ارتبط الطيف بمعاناة الإنسان.

فالحلم هو المكان الوحيد الذي ينعدم فيه الشعور بالزمان، والمكان ففيه تسافرالشخوص إلى الماضي والحاضر والمستقبل ، وتنتقل من مكان إلى آخرفي اللحظة نفسها . وهو المكان الوحيد الذي يلتقي فيه الحي بالميت، فالموتى يغادرون بطريقة، ما، توابيتهم، والأحياء كذلك لا يلتزمون دائما بأدوراهم فينتقلون من مكان إلى آخر ويتفاعلون ويتحدثون مع الموتى .

وفي الحلم يمكن للأب أن يعود للحياة بعد يوم من رحيلة فلا تعود زوجته أرملة، ولا يبقى أطفاله أيتامًا، كما في رواية (ضريح أبي لطارق إمام). "إن مسألة ما بعد الحداثة تنطوي على مشكلات مفهومية من دون شك، ولا يمكن لهذه المشكلات في النهاية كبح الخيال الفكري، والرغبة في فهم حضورنا التاريخي في بنى ذهنية عقلية تكشف لنا عن وجودنا ".[1]

إن أفكار(سرد ما بعد الحداثة) تتجه نحو أفكار منفتحة ، دالة على التمني لفهم الطبيعة الإنسانية وسرالوجود؛ فجاءت هذه الأفكارغير مقيدة بالأمكنة والأزمنة، تتخذ من الطيف سبيلها لتحقيق غايتها، لأن العالم بعد الثورة المعلوماتية والتكنولوجية أصبح لا يعرف المستحيل فما كنا لا نستطيع تخيله أصبح واقعًا ، والتواصل بين الأفراد في كل مكان أصبح بلا حدود، مثل الحلم غير مقيد بضوابط معينة بل يصبح الإنسان حرًا طليقًا عندما يحلم ، فليس هناك حدودٌ لزمان ولا مكان وتنتهي الفواصل بين الأحياء والأموات

[1] إيهاب حسن ، تحولات الخطاب النقدي لما بعد الحداثة، ت/ السيد إمام، ص16.

ويقبع الإنسان في منطقة الممكن واللاممكن فيقابل أطياف من فقدهم تحت الثرى ويتفاعل معهم بلا حدود .

ومن الممكن أن تكون الحياة مجرد حلم طويل ونستيقظ منه حتمًا، وأن كل ما أحاط بنا في الحياة من ألم وحزن ووداع وانكسار وخذلان هو مجرد حلم قد يكون طويلًا فعلًا، ولكننا نستيقظ منه حتمًا، وكذلك كل ما نشعربه من راحة وسعادة وفرح هي أشياء زائلة ومجرد قشور ستنتهي يومًا ما، ونستيقظ جميعًا من الحلم في زمن آخر ومكان آخر .

أولًا : المصادر العربية:

- طارق إمام، ضريح أبي،ط1، دارالعين، القاهرة، 2013 .

ثانيًا: المصادر الأجنبية :

- جلوريا نايلور، يوم ماما ، صدرت عام 1988

Glorla Naylor, Mama day, published by Open Road, New York, 1998.

ثالثًا: المراجع العربية والأجنبية المترجمة :

- أحمد عبد الحليم عطية :

- جاك دريداو التفكيك، ط1، دارالفارابي ، بيروت-لبنان، 2010.

- مابعد الحداثة والتفكيك " مقالات فلسفية " ، دار الثقافة العربية،القاهرة، 2008.

- أرثرأيزابرجر: النقد الثقافي، ت: وفاء رمضان، رمضان بسطاويسي، ط1، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، 2003.

- إيهاب حسن، تحولات الخطاب النقدي لما بعد الحداثة، ت/ السيد إمام، ط1، دارشهريار، العراق، 2018.

بيرجر،بيترل، وأخرون، ت/ فاروق أحمد مصطفى وأخرون،مراجعة/ أحمد أبو زيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2009.

- جاك دريدا :

- أطياف ماركس ، ت: منذر عياشي، ط2، مركزالإنماء الحضاري، حلب، 2006.

- جان- فرانسوارليوتار، في معنى ما بعد الحداثة (نصوص في الفلسفة والفن)، ت/ السعيد لبيب،ط1، المركزالثقافي العربي،الدارالبيضاء-المغرب، 2016 .

- سيجموند فرويد، تفسيرالأحلام، ت/ مصطفى صَفوان، مراجعة: مصطفى زيور، دارالمعارف، القاهرة .

رابعًا: المقالات العربية والأجنبية:

- صلاح السروي ، رواية سورة الأفعي لمصطفى الشيمي ،القاهرة، 17-نوفمبر2020، موقع الكتابة .
- الكبيرالداديسي في مقال له بعنوان (" ضريح أبي" لطارق إمام، غرائبية الرواية من غرائبية الواقع ، موقع الكتابة 18 إبريل 2018) .

- Nesrin Yavas, (Gloria Naylor's Mama Day: Magical realism as the site of black female agency and empowerment).Social and Behavioral Sciences 158,2014.

- " نسرين يافس" في مقال لها بعنوان يوم ماما لجلوريا نيلور: الواقعية السحرية كموقع لتمكين المرأة السوداء ، في مجلة العلوم الاجتماعية والسلوكية،ع158، 2014).